فلسطين الأرض : على مذبح السياسيين

للأخ ن. أبو جهاد

– دولة بلا نسب –

أربعة آلاف سنة مضت وأرض فلسطين موطن الصراع بين الحقّ والباطل .. الحقّ المنـــزّل على أنبياء الله ، وباطل الكافرين بالله ورسالاته ، قتلة الأنبياء ، المفسدين في الأرض

وكان للحقّ الغلبة مرّة بعد أخرى (وإن عدتم عدنا) وكان للباطل الغلبة في بعض الجولات .. وكلّما سيطر على الأرض الطاهرة حقبة من الزمن قصيرة في عمر التاريخ ، عاث فيها فساداً حتى يقيّض الله لها من الصالحين من يسوؤا وجوه أهل الباطل من جديد .. (ولن تجد لسنّة الله تبديلا)

ولجولة الصراع الدائرة اليوم سمات خاصة بها ، تجعلها أشدّ عنفواناً من سواها ، وأبعد خطراً بنتائجها على مـــن يخسرها .. ومن سماتها أنّ الناس ينظرون إلى ساحة الصراع فلا يكادون يرون سوى جبهتين ، جبهة باطل بني إسرائيل وقد حُشدت وراءها القوى الصليبية والإلحادية والصهيونية العالمية ، وجبهة باطل التنازلات بدرجات متفاوتة أمام بني إسرائيل ومن ورائهم .. ولا يكادون يسمعون سوى الضجيج والتمويه بين أهداف بين إســـرائيل المعلنـــة الـــصريحة بالسيطرة على الأرض الطاهرة جميعاً ، والقضاء على شعبها المسلم بكلّ وسيلة ، وأهداف المتنازلين أمامهم .. كـــم يكون حجم التنازلات ، وبأيّ أسلوب تكون ، وعلى أية الموائد تقدّم ؟ ..

يرى الناس هذا فيتطرّق اليأس إلى قلوب من لا يرون من وراء الواقع الرهيب الراهن معالم المعركة الحقيقية بـــين الحق والباطل ، ولا يتلمّسون لأنفسهم مكاناً في جبهة الحقّ من دون جبهات الباطل

ومن شرّ سمات هذه الجولة سرقة الشعارات والرايات فيها .. فهؤلاء الذين تنكّروا لوصية نبيّ الله إســـرائيل عليه السلام واتهموه بما اتهموه به يسمّون كيانهم الباطل باسمه .. والذين سلكوا سبيل الفساد متنكّبين عن ديـــن إبـــراهيم عليه السلام ينسبون أنفسهم .. بل حتى عملتهم إليه ، والذين شاركوا في تقويض دعائم دولة الإيمان بعد وفـــاة داود وســـليمان عليهما السلام يجعلون (نجمة داود) شعارهم في عَلَمِهم ، والذين قتلوا من قتلوا وعصوا من عصوا من الأنبياء يدّعون أنّهم هم الوارثون للأرض التي شهدت جرائم القتل والعصيان ولا تزال تشهد مزيداً من القتل ومحاربة الدين الحقّ

وما كان لهؤلاء أن يسرقوا تلك الشعارات والرايات لولا أنّ أهلها الحقيقيين من المسلمين قـــد نُكبـــوا بزعمـــاء سياسيين بدؤوا تنازلاتهم أمام الباطل بالتخلّي عن تلك الرايات بدءاً براية إبراهيم وإسماعيل وإســـحاق والأســـباط ،

وانتهاءً براية محمد عليهم الصلاة والسلام ، ورفعوا رايات أعدائهم يزعمون أنّ بها تتحرّر الأرض التي فتحها عمر بن الخطاب بالإسلام .. وحرّرها صلاح الدين الأيوبي بالإسلام ، واستشهد على ترابها عزّ الدين القسّام من أجل الإسلام ..

من شرّ سمات هذه الجولة سرقة الشعارات والرايات ، فالمخلصون يريدون (التحرير) .. والزعماء السياسيون يرفعون لهم راية (التحرير) ، ولكنّهم مسخوه فزيّفوها ، وقصروه على جزء من الأرض دون الآخر -إذا صدقت النوايا على الأقل- فباتت راية (خائنة كاذبة) ، لا تخدع مبصراً ولا تجمع على جهاد .. والمخلصون يريدون (السلام العادل) الذي لا مكان في ظلّه لباطل .. والزعماء السياسيون يرفعون لهم راية (السلام العادل) بل و(الدائم الشامل) ، فيجعلون من ألوان الراية بقاء دولة الباطل ، والحدود الآمنة لدولة الباطل ، والضمانات الدولية لاستمرار وجود الباطل وتوسّع الباطل ، والضمانات الدولية لاستمرار وجود الباطل وتوسّع الباطل ، حتى أصبحت راية (السلام) لا تزيد على أن تكون راية (سلامة الباطل) .. والمخلصون يريدون (العودة إلى الديار) ، إلى حيفا ويافا واللدّ والرملة والقدس والخليل .. والزعماء السياسيون يئدون هدف العودة الأصليّ وأداً ، حتى من الأناشيد الحماسية في حقبة سابقة ، ويستبدلونه بأحاديث محلّية ودولية ، بحثاً عن حلول وسطية ، بين عودة جزئية وتعويضات مهينة على ما لا يعوّض بمال ، ولا يستعاد بغير النضال .. وهم يفرّقون في ذلك بين عودة إلى أرض محتلة وأخرى محتلة منسية ، وراء حدود ترضي أمريكا أو تغضبها ، وتقرّ بها روسيا أو ترفضها ، وبين مستعمرات أقيمت قديماً لتبقى ، وأخرى أقيمت وتقام حديثا .. لتبقى أيضاً ، حتى أدخل في روع بعض أبناء هذا الجيل أنّ الحديث عن (التحرير والسلام والعودة) وهم من الأوهام .. وكلام في كلام .. وكأنّ الباطل لا يزهق ، وكأنّ الحقّ لا يظهر في يوم من الأيام

ومن أخطر ما تتداوله سوق الشعارات والرايات ، أنّ المخلصين يريدون أن تقوم للحقّ في فلسطين (دولة) ، كما يريدون قيام دولة الحق ، دولة الحياة الإسلاميّة والحكم الإسلاميّ في كلّ مكان .. والزعماء السياسيون يرفعون شعار الدولة حيناً ويخفضونه أخرى ، وهم في ذلك غارقون في البحث عن (دولة بلا نسب) ، بين إرادة ذاتية هي عين الاحتلال ، وعلمانية مستوردة هي عين ما يراد لسائر بلاد الإسلام ، حتى أصبحت (الدولة) المطلوبة لقيطاً لا يريدون معرفة أمّه ولا أبيه ، ويريدون سجنه -إن استطاعوا حضانته- بين ضفة وقطاع ، وفرض القيود والأغلال عليه -إن استطاعوا تنشئته- بمشاركة كلّ من تحلو له المشاركة في ذبح الأرض السليبة ، على حساب هدف الحقّ والكرامة ، هدف التحرير الكامل الأصيل ، وحساب استعادة الأرض ، أرض الإسلام كلّها ، بالإسلام ومن أجل الإسلام ..

* * *

– الأرض الذبيحة –

ولئن خدعت الشعارات والرايات المزيّفة عيون بعض المخلصين ردحاً من الزمن ، فقد آن الأوان أن يبصر كـــلّ مخلص للقضية حقيقة الصراع

إنّ السكين التي تقطّع أشلاء أرض فلسطين ، شفرتها من صنع بني إسرائيل ، ومقبضها وضعته أيدي المتنازلين في أيدي بني إسرائيل ليحرّكوه كيف شاؤوا ، متى شاؤوا

ولن ينجح المخلصون في انتزاع راية الحقّ الأصيل من أيدي الباطل وأعوانه بكلّ أشكاله وألوانـــه ، إلاّ إذا كـــان مقياس الإخلاص عندهم هو مقياس (الأرض) وليس الشعارات الفارغة والرايات المزيّفة

والمخلص لا يحتاج إلى أدلّة وشواهد ، إنّما يحتاج إليها المتردّدون بين بقية أمل في زعماء يتنازلون فيفدون الأمل ، وبقية ضباب يحجب حقيقة الصراع عن بعض العيون فلا يرى أصحابها مكانهم على جبهة الحق

وفي كلّ يوم شاهد ودليل على أنّ العدوّ يريد الأرض وأنّ المتنازلين إنّما يتنازلون عن الأرض .. وعن أكثر مـــن الأرض

وليصدرْ في كلّ يوم مائة قرار في مجلس الأمن الدولي ، ومائة بيان محادثات مع زعيم شرقي أو غـــربي ، ومائـــة استنكار من مؤتمر عربي .. ما قيمة ذلك كلّه إزاء حبّة رمل واحدة من أرضنا فيما يسمّى بـ (الحيّ اليهودي) حـــول الأقصى .. يطرد بنو إسرائيل منه آخر أسرة عربية مسلمة بقيت فيه منذ عام 1967م ، يوم 80/03/05م .. أي بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي بإدانة سياسة المستعمرات بأيام ؟ ..

ما قيمته إزاء حبّة رمل واحدة من أرضنا في الخليل المحتلّة منذ عام 48م يستبيح بنو إسرائيل لأنفسهم سكناها بعد انتظار وترقّب ومؤامرات .. بقرار صدر يوم 80/02/25م ، أي قبل يوم واحد من تبـــادل تـــسليم أوراق اعتمـــاد السفيرين الأوّلين بين بيجن الغاصب لما لا يملك والسادات المفرّط بما لا يملك ؟ ..

ما قيمته إزاء دمعة طفل واحد من بين عشرات الأسر العربية المسلمة يطردها بنو إسرائيل من مساكنها في شرقي مدينة القدس ، وقرب مدينة بيت لحم ، لتلحق بمن قبلها من المشرّدين داخل وطنهم ، وليقيم بنو إسرائيل لأنفـــسهم مستعمرات جديدة ، في مطلع شهر آذار/مارس عام 80م .. أي أيّام الضجة الكبرى حول كلمـــة صـــدرت عـــن (ديستان) وتفضّل فيها بتأييد (حقّ تقرير المصير) لشعب فلسطين ؟ ..

هل الجواب على ذلك –ومثله كثير– ببيان جديد يستجدي الأرض المحتلة عام 67م أو بعضها ويسلّم بما ســـوى ذلك للاحتلال ؟ ..

هل الجواب عليه بمزيد من الارتماء في تبعية غربية أو تبعية شرقية .. طمعاً في (تعاطف) الأعداء مع الضحية ؟ ..

هل الجواب عليه بمؤتمر جديد يضع الخطوط الطويلة العريضة لمواجهة تفريط السادات الأكبر بتفريط أصغر ؟ ..

إنّما يكون جواب المخلصين -أيّها المخلصون- بالتصميم القاطع على التحرير ، تحرير الأرض ، الأرض كلّهـــا ، بالجهاد ، الجهاد الإسلاميّ الصادق ، لإعادة الأرض كلّها لحظيرة الإسلام .. دين إبراهيم ومحمد وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبالإعداد الحقيقيّ الجادّ لمعركة التحرير والمصير .. ومعركة العودة إلى هذا الدين كما أنزلـــه الله ، عقيدة وعبادة ونظاماً وحكماً وجهادا

* * *

– الراية الأصيلة –

وإذا كان بنو إسرائيل يذبحون أرضنا بمستعمراتهم ، وشعبنا برصاصهم وقذائف أسلحتهم ، فإن الزعماء السياسيين المتنازلين هم الذين يساعدون بدرجات متفاوتة على ذبح أرضنا وشعبنا .. بمواقفهم الهزيلة وانشغالهم عـــن القـــضايا الجليلة بسفاسف الدنيا ومتاعهم فيها

زعماء بني إسرائيل اليوم ، من أوّلهم إلى آخرهم ، يقولون : القدس يهودية إلى الأبد .. لبني إسرائيل الحقّ بسامره ويهودا بلا جدال .. شعب فلسطين لا وجود له إلاّ كعرب مستعمرين أو عرب لاجئين ..

فأين بين الزعماء السياسيين المتنازلين من يقول اليوم بدلاً من المزيد من التنازل : القدس كلّها هي بيت المقـــدس الذي لا يفرّط بجزء منه مسلم صادق الإسلام .. فلسطين كلّها هي أرض الإسراء والمعراج التي لا يقعد عن جهـــادٍ لتحريرها إلاّ متنكّب عن دين محمد عليه الصلاة والسلام .. شعب فلسطين جزء من الأمّة الإسلاميّة الواحـــدة ، لا خلاص له من نكبته إلاّ بخلاص هذه الأمّة من محنة الحكم بما لم ينـــزّل الله ، وسوقها في ركـــاب التبعيـــة للـــشرق والغرب بعيداً بعيداً عمّا يحقّق لها مستقبل التحرّر والكرامة والوحدة والتقدّم ؟ ..

وإنّ كل مسلم مخلص لقضية فلسطين مدعوّ بدعوة إسلامه ، وبمقتضى إخلاصه ، إلى رفع راية أخرى فوق تلك الرايات الهزيلة المرفوعة ، والمناداة بهدف آخر غير تلك الأهداف الخادعة المصطنعة ، والسير بطريق آخر غـــير تلـــك الطرق المتفرّقة المفرّقة المضلّلة ..

إنّ كل مسلم مخلص لقضية فلسطين يحمل اليوم أمانةً ، تقاعسُه عن أدائها خيانةٌ لإسلامه ولقضيته ، أمانة التميّـــز بالإسلام الحرّ الأصيل ، برايته ، وهدف إقامة حياته وحكمه ، وطريق العمل والجهاد من أجله الموصـــلة إلى تحريـــر

الأرض كلّ الأرض .. وعودة الشعب كلّ الشعب .. والموصلة إلى التحرّر من كلّ ظلم داخلي وتبعية خارجية ، وإلى حياة العزّة والكرامة ، والسيادة والقوة والتقدّم ، في مجتمع لا يحتكم إلاّ لله ورسوله ، ولا ينشد العـــزّة إلاّ عنـــد الله العزيز القدير ، ويحمل رسالة الخير والحقّ والهدى للبشر كافّة .. ﴿ ... **أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ [النساء : 139]